فريسة وشيطانه

بقلم الاستاذ عبده فرّاج

« .. لكن لاتظني يا بثينة ان المبادئ السامية تغيرها الحوادث الوضيعة ! .

كان السائر في شارع سليمان باشا بالقاهرة ، ذاتَ ليلة من ليالي الشتاء ، يرى بين المارة شابا يسير الهوينا مطرقا الى الى الارض ، تنم ابتسامته وهيئته عن الاغراق في التامل .

انه خليل عبدالقادر ، الشاب المهذب الذي لايعرفه الا أصدقاؤه القليلون والذي يحبه ويعجب به كل من يعرفه .

كان في الطريق يسترجع في ذهنه صورة ماحدث منذ لحظات. لقد كانت تلك اول مرة يقضي فيها ساعة باكملها مع حسناء غير زوجته ومعبودته بثينة . فيالها من تجربة فريدة عند هذا الفتى الخجول وان كانت أمرا عاديا عند غيره من رجال بيئته . إن زوجته الجميلة لابد ان تكون كالمربوطة الى النافذة في انتظاره على أحر من الجمر ، على عادتها كلما تأخر عن ميعاد عودته .. انه يستطيع ان ينتحل عذرا كاذبا لهذا التأخر ايثارا للسلامة كما يفعل الناس مع ازواجهم ، ولكنه منذ أحبها الى ان تزوجها ومنذ تزوجها الى ذلك اليوم لم يكذب عليها قط وما يدعوه الى الكذب وهو يعرف في نفسه الطهر ويعرف فيها الثقة العمياء بكل مايقول.. انه سيفضي اليها اذن بما حدث فذلك أجدر ان يريح ضميره وان يزيد حبها له . اليست تلك الحسناء المجهولة هي التي استرقفته في الطريق على غير معرفة وهي التي رجته ان يجالسها قليلا بالمقهى لتستشيره في مشكلة لها كما زعمت ؟ ألم يعرف انها من بنات الهوى الباحثات عن العشاء عند هذا والمبيت عند ذاك ؟ فهي اذن مسكينة لاينبغي لرجل مثله محب للخير وللناس ان يضن عليها بطعام العشاء ، لقد تركها تأكل وحدها ودفع بدلها نفقة طعامها واشترى لها كما رجته ورقة يانصيب لعلها تربح فتستغني زمنا عن اصطياد الرجال . وها هو يغادرها الى زوجته الحبيبة وقد ارضى نزعة الخير في نفسه ورعى أمانة عهده لزوجته فعاد اليها نقيا كما تريده ان يكون. ولو ان زوجته كانت كغيرها من النساء او كان هو كغيره من الرجال لكان الكتمان اولى واصوب ولكنهما تعاهدا أن يكونا كالشخص الواحد لاتخفى عليه اسرار نفسه فما عليه من بأس ان يسامرها بهذا الحديث.

في تلك اللحظة خرج خليل من تأملاته والتفت خلفه عندما لمح في زحمة المارين شبح رجل يرفع يده اليه بتحية عابرة . ولعل هذا الشخص استبطأ رد التحية فمضى في طريقه مسرعا . ولكن خليلا عرفه ، انه سمير صالح أحد اصدقائه

اظل خلالها المكان صمت مهيب ، ثم تمالك نفسه وراح يتمم القاء قصته فقال (وغادرنا محطة القطار ، فشيعنا الرجل بنظرة طويلة ، ثم ركبنا السيارة فانطلقت بنا الى المدينة وألم بي في الطريق سهوم وكدر ، وكانت صورة الرجل وذكراه جاثمة على صدري لاتريم . وعندما وقفت بنا السيارة امام الفندق ، وهممت بأن اعطي السائق أجره ، مرت بنا عربة الاسعاف في سرعة خاطفة ، ولا ادري كيف غفلت عيناي عن كل المناظر والوجوه لتستقر على حامل الاسعاف فاستبينه جيداً ، لالمح بالتالي بين يديه نفس اللعب التي شاهدتها في القطار بحوزة صاحبنا الغريب .

بغداد : فؤاد الونداوي

او بالاحرى احد معارفه. ولقدهم خليل بان يسرع الى اللحاق به ليسأله عن امر تلك الحسناء المجهولة فانها قد اطلعته على صور اصدقائها وعرف من بينها صورة سمير هذا وعرف ان تلك الصورة التقطت بنفس الآلة الدقيقة التي سبق لسمير ان التقط بها صوراً له مع زوجته بثينة ، ولكن اسراع سمير في مشيته كانه متعمد فتركه خليل يمضي لشأنه وكان البيت قد اقترب وما لبث خليل ان صعد الدرج مشتاقا الى لقاء زوجته.

* * *

— اين كنت الى الآن ياخليل ؟ ولكن خليلا أدهشه جفاء النغمة وبرودة النظرة التي صوبتها نحوه زوجته.

— أنا؟ .. عجبا ..! اين عناقك واين قبلتك وابتسامتك وترحيب عينيك ولقد عودتني ذلك . اتراك غضبى او حزينة ؟

— كلاهما .. أما تعرف انك هوائي الذي اتنفسه واختنق بدونه ؟

— إنني ماتأخرت ياعزيزتي زهداً في دقيقة واحدة من صحبتك ولكن اجلسي وسأحكي لك ماحدث وهو امر غريب حقا. أقبلت عليه بثينه باهتمام فاحص . ولكن ماشرع يحكي طرفا من قصته حتى احس بثقل ماشرع فيه . وكان كلما تورط في ذكر التفاصيل لمح في عينيها سخرية لم يعهدها . انه تحدي من ينكر الحديث ويكذبه . وما لبث حماسه لمواصلة الحديث ان فتر وهمّ بالكف عنه ليشرع في معاتبتها على نظراتها التي تقلقة . الا انها سألته فجأة .

— هل كانت جميلة ؟

— لم تكن تخلو من جمال .

— إني احس بالغيرة تفترسني وتقضي عليّ .

— انت إذن بحاجة لان اذكرك بمنزلتك عندي . انى مارأيت جمال امرأة الا حجبته صورتك كما تحجب الشمس النجوم . . .

— لقد طالما خلبت لبي ببراعتك في الحديث والتودد : ولكن لاينبغي لي ان اكون بلهاء مجردة من كل براعة في الفهم فقل لي ، كيف وجدت حديثها ؟

— كان من النوع الذي يعرف قائله وسامعه انه كذب.

— لقد كان إذن من نوع حديثنا الآن !

نفذت هذه الملاحظة الاخيرة في قلب الزوج نفاذ سهم أتقن تصويبه . فسكت لحظة ثم سألها .

— الا تصدقينني يابثينة ؟

— إن تصديقي لك شيء وحبي إياك شيء آخر ، ويكفيك حبي .

— إذن أحلف لك بشرفي أن ماقلته صدق .

— لاتحاول ذلك ياخليل . ويؤسفني ان لدي من الاسباب التي تجهلها مايمنعني الآن من تصديقك .

صمت خليل مخذولا كالملاكم الذي توالت عليه ضربات قوية . ولكنه نهض واقفا وهو يحاول عبثا كظم غيظه وقال بصوت كأنه غير صوته :

— إذن اعزبي عني حيث شئت . إني لااريد ان أراك إلا إذا جئتك يوما معتذرا أوجئتني معتذرة .

— أتطردني ياخليل ؟

— بل أردت الاكتفاء بهذا القدر من شؤم الساعة . إذا تباطأت فسأغادرك انا ولا تعرفين مكاني .

أحس خليل وهي تمد ذراعيها الى معطفها تاهبا للخروج كان دموعه ستمنعه من الرؤية ، واحس بالغم كان له أصابع تضغط على حنجرته . وهاهو يستمع الى وقع قدميها وهي تتجه الى الدرج وكلما خفت وقعها الكئيب احس كانما يخفت بمقدار ذلك حظه من الحياة . فقد كان حبها مضرب المثل ومثار الحسد عند الكثيرين . ولكنه عاوده ثباته وابتسامته فراح يبتسم هذه المرة سخرية من غروره بنفسه وبصاحبته وتذكر مبادءه التي تقضي بان ضعف الانسان يستحق الرحمة لا النقمة وتزاحمت في ذهنه ذكرى حسناتها السابقة حتى ملأت الغرفة حوله فلم يتمالك ان ذهب الى النافذة امله ان يرى شبحها المشوق تضيئه مصابيح الشارع الواحد بعد الآخر . وكانت تطل في رأسه فكرة ثم تختفي ، فكرة ان يسرع الى الطريق ليحملها بين ذراعيه حملا ويعود بها . ولكنه التفت خلفه فجأة على مسمع نحيب مكتوم خافت وإذا به يرى بثينة مستلقيه على السرير تبكي وكشف وجهها واذا به وقد غسلته الدموع الدافقة

أحمد خليل نفسه في تهدئتها ولم يستبن من الفاظها التي تخنقها العبرات إلا قولها : سامحني يا خليل . لو عرفت عذري ما قسوت علي هكذا وكانت قبلاته وتوسلاته كفيلة باذهاب شجنها ، فانطلقت تقول :

– لقد كاد الوغد ينجح في هدم سعادتنا .

– من هو الوغد الذي تعنين ؟

– سمير صالح . لقد اخبرني بقصتك قبل مجيئك . وقد فهمت كل شيء قبل ان اصل الى درج منزلك . واني طالما اعربت لك عن قلقي من نظراته الي ومن نواياه نحونا ولم تعبأ . اتذكر يوم جاء يلتقط لنا الصور الفوتغرافية ؟ لقد صرح لي اليوم بأنه كان يطمع ان تضحي واياه صورة تبقى عندنا لكي اتذكره دائماً .

اني لن اكتمك شيئا مما قال لي قبل مجيئك . لقد حاول ان يستدرجني الى المطعم الذي كنت فيه لاقتنع بخيانتك بعد ان اراك بعيني رأسي . لاشك عندي في انه هو الذي ساق الى طريقك تلك العاهرة ليمهد لي سبيل الانتقام منك . وان حياتي لأهون علي من ان اكرهك يوما او اطيع فيك شيطانا مثله .

وهنا تذكر خليل انه رأى صورة سمير بين صور اخرى في حقيبة فتاة المطعم ، وقبل ان يقول لها ذلك استرعى انتباهه قولها :

– اتعرف ماذا قال ايضاً ؟ قال انه سينتظرني بالمقهى المواجه لمنزلي لكي اجالسه هناك اذا سئمت وحدتي . طل من النافذة وسترى الخبث كله موضوعا فوق احد الكراسي . . تعال . . ها هو الانسان الدنيء .. وبعد .. فاصل منظره يقنعك بأن تهجر مبادئك فلا تعود تحب هذه الانسانية التعيسة .

– حقا ان هذا امر يجل عن الوصف . لكن لا تظني يا بثينة ان المبادئ السامية تغيرها الحوادث الوضيعة ، وليس كل الناس على شاكلة هذا الفتى الفج . بل ان هذا الفتى نفسه فريسة سوء التربية وفساد القدوة . ولو انه تعلم الخير لعشقه ولاكرم نفسه ولما عرضها لقسوة هذا البرد وهوان هذا الاحتقار.

نظرت بثينة الى وجه زوجها وقد ازدادت به اعجاباً فرأت في قسماته وابتسامته كل المعاني التي كانت اصل عشقها له وسبب تمليكه روحها ، ثم نظرت الى ساعة يدها واطفأت المصباح .؟

القاهرة : عبده فراج

قصة مصرية

قلب جديد

بقلم الاستاذ اسماعيل الحبروك

– . . . . أذن انتظرني فبعد دقائق سأكون عندك !

بهذه العبارة ختمت المحادثة التليفونية التي جرت بيني وبين صديقي – الدكتور مصطفى السماع – الطبيب بمستشفى الامراض العقلية بالعباسية .. ولم تكد تمضي دقائق حتى كنت مندفعا بكل ما في سيارتي من قوة انهب الطريق الطويل المؤدى الى المستشفى .. فقد كنت تواقا منذ أمد بعيد لزيارة هذا المكان الذي ضلت رحمة السماء سبيلها اليه .. فظل قفرا من نور الآلهة وبركات الانبياء والقديسين . . وصلت الى باب المستشفى فاستقبلني البواب مرحبا ودلفت على قدمي من الباب الحديدي الكبير الذي يفصل بين ارض العقل وارض الجنون .

وانقبضت منذ وطئت اقدامي تراب هذه الارض التي استعصت على الملائكة .. ولكني تحاملت على نفسي واسرعت الى المبنى القائم وسط المكان المخصص للأطباء محاولا ان احول بين حواسي وبين نباح هؤلاء الادميين التعساء .

كان صديقي في حجرته ومعه احد مرضاه فقام يرحب بي ثم قدم مريضه الي قائلا :

– هذا هو (احمد) مريضي المفضل . . انه الرجل الذي تخطى حدود العبقرية فلم يعد من مقامه ان يعيش بين الناس